

مظعر الحقيقة في الطبيعة .
هذا معن لنا أن نذكره توطئة لتقديم بحث الاستاذ
فن أو القراء « سومر » ، ومن حسن الصدق ان
تظهر في هذا الجزء من المجلة في نفس الوقت
نص المحاضرة التي سبق أن القيناها في قاعة المتجمع
العلمي العراقي حول « نشوء الوجدان وتكامل
الانسان » التي عالجنا فيها نفس الموضوع ولكن من
وجهة نشوء الوجدان وأثره في التكامل الانساني .
ولا يدعني أخيراً الا تقدير جهود السيد بشير
فرنسيس في ترجمة خطاب الاستاذ فان لو ترجمة
وافية قدمت بين ترجمة المعاني العميقة مع ترجمة
الكلمات والعبارات .

تاجي الاصيل

والدين معا . فالصدمة التي أصابت رجل العلم
والدين في مبدأ القرن العشرين عند ظهور فلسفة
التطور في أدوارها الحدة الحقيقة الأولى قد انتهت
الى ما هو أصفى وأثرب الى الحقيقة الجامعة من
تلك الهياكل العظمية التي استند اليها البحث العلمي
في البدء ، فالطبيعة الكبرى هي أكبر وأوسع
وأجمع من الهياكل العظمية للانسان والحيوانات
المختلفة ولا شك ان الحقيقة العلمية هي واحدة كما
ان العالم وحدة في الوجود سواء حول الانسان
فهم ذلك عن طريق العلم أو عن طريق الدين مع
اختلاف وسائل التعرف على تلك الحقيقة ، فطريق
الدين يستند الى تجليات الحق مباشرة في النفس
الشرية وطريق العلم يستند الى تتبع المفردات من

لبحاث ما قبل التاريخ والعلوم الانسانية

(1) PREHISTORY AND THE HUMANITIES

« العلم لا يعرف وطناً ، والناس على اختلاف
اجناسهم في ساحته أخوة ، والكل ينشد غاية
واحدة - هي الحقيقة »

[من خطاب الرئاسة الاول الذي ألقاه
Sir David Gill في الجمعية الاغريقية
الجنوبية لتقديم العلم في سنة ١٩٠٣] .

السنوي العام الثامن والاربعون والاجتماع الثاني
الذي يعقد في سلازبرى - المدينة التي أرائني في
غنى عن ان أذكركم بانها تحتفل في هذه السنة
بذكرها الستينية أذكر هذا الحادث الهام لان كثيرا

قبل ان أجعلكم شركوني فيما تطوى عنده
فكري من قلق ، وأى عالم خلا من ذلك ؟ أود ان
اتقدم اليكم بالشكر على ما أولتموني من شرف
بدعوتكم اياي لرئاسة هذا الاجتماع ، وهو اجتماع

(١) وهو خطاب C. Van Biet Lowe مدير دائرة المباحث الاركيولوجية في حكومة اتحاد جنوبى
افريقية ، ترجمة السيد بشير فرنسيس .

من الناس يظن بان روديسية بلد فتى لم ينزله
الانسان الا حديثا ، ولكنه فى الواقع ، وهو ما
ارجو ان اوضحه لكم ، بلد بالغ فى القدم ذو
تأريخ لا يقل قدما عن تأريخ البلد الذى جاء منه
اباء هذه المدينة ، ان لم يتجاوزده عهدا .
وحذرا من أن أعيد ما قد يكون قد سبقنى
اليه غيرى من الرؤساء ، وان اسمح لقلقى الفكرى
ان يؤثر فى ملامح خطابى تصفحت ما القى سابقا
من خطابات الرئاسة ، فظهر لى من عملى هذا ،
انه لم يحدث لرئيس منهم ان عانى من القلق ما
انا فيه وبالطريقة ذاتها . على اتنى سررت ايسا
سرور بالذى وفقت اليه جميعتنا فى اختيارها
لقادتها . فان تنوع المواضيع التى عالجوها وما
احتواه كل خطاب من علم غزير ونظرة ثاقبة ،
وما اعلنوه فوق ذلك من النقد الانشائى للوصول
الى توجيه وتعاون فى المساعى يفضلان عما كان
عليه الامر لاجل تقدم العلم ، كان له اعظم
الوقع فى نفسى . وعلى هذا فقد امتدتى هذه
الخطابات وصلتى المكينة بالجمعية لمدى ربع قرن
بشجاعة مكنتنى من التحدث اليكم فى هذا المساء
عن العلاقات البشرية وعن الدور الذى أشعر ان
فى طاقته ان يلعبه أكثر العلوم حداثة فى تحسين
هذه العلاقات . ان سبعة خطابات لاغير من مجسوع
سبعة واربعين خطابا للرئاسة قصرت موضوعها على
العلوم الانسانية ، مع ذلك فقد كان لهذا الحقل
الواسع نصيب فى عدد غير قليل من خطابات
الرئاسة الاخرى .
ان الذى أعنيه بأحدث علم هو علم ما قبل
التأريخ (Prehistory) وهو العلم الذى كان فى

بداية نشأته فرعا خاصا من فروع الجيولوجية
(علم طبقات الارض) من جهة وفرعا خاصا من
فروع علم الحياة (بيولوجية) من جهة ثانية ،
وانه يربط بين هذين العلمين . ولضيق الوقت
المسموح لى به أرغب فى التحدث بايجاز عنه هذا
المساء ، وفى حديثى هذا اتقدم بثلاث دعوات :
الاولى ، الدعوة الى المزيد من التحرى فى حقل
ما قبل التأريخ ، والثانية ، الدعوة الى اصلاح
فى تعليم التأريخ ، والثالثة ، الدعوة الى التوسع فى
تعليم موضوع ما قبل التأريخ ليس فى المدارس
العلمانية فقط بل فى المدارس الدينية أيضا .
واننى اذ أدعو الى هذه الامور آمل ان الزمن
سيكفل بتحقيقها ، فتمكن بهذا من سيخلفنا من
ان يكونوا فى مركز أحسن سواء فى علاقاتهم مع
غيرهم من الناس أو فى علاقاتهم بسحيطهم . ومن
المؤمل ان يساعد ذلك أيضا فى ازالة الفجوة الحالية
التي تفصل بين التفكير العلمانى والتفكير الدينى .
فموضوعى اذن يتناول الناحية الطبيعية كما يعرفها
العلم والناحية الروحية كما يعلمها الدين .
على كل رجل من رجال العلم ان يسأل نفسه ،
ولعله يفعل ذلك بين آن وآخر ، عما جناه الانسان
من كل التقدم العلمى الذى نشهده من حيث علاقته
بأخيه الانسان . اذ ما قيمة التقدم فى العلم ان
لم يصحبه تقدم الانسان ايضا ؟ فهل ان الانسان
يشرفى كما تترقى العلوم التى يشتغل فيها ؟ وهل
ان الاسلحة التى ما فتىء يستبطنها من هذه العلوم
يتمتع منها اتقاعا يحسن من حالته الاجتماعية
والروحية كما هو يفيد منها فى ما يوفر عليه راحة
بدنية أكثر ؟ . أقول لكم بصراحة اننى لا أظن

ذلك •

اذن في حالة تغير دائم ، وهذا بذاته يتطلب مظهرا جديدا يختلف عما الفناء وجهدا خاصا للتغلب على مقاومة من لا يريد التغيير - وهم كثر • ان هؤلاء هم الذين يثيرون امامنا أول بل أعظم صعوبة ، وهي صعوبة لا يمكن ان يدللها الأندر الناس في العالم : اولئك الذين عندهم الشجاعة العقلية ، أولئك الذين لا غرض لهم الذين يفتشون عن الحقائق ويستخدمون عقولهم في استخلاص النتائج منها ، والذين يتكروون الحرافات والاساطير والباطيل • ومن اجل هذا السبب أود ان أؤكد على ما قيل قديما « ان عالم اليوم هو بناء الفد » • وان ما بلغته ويسرته وسائل النقل والمواصلات قد غير وجه المعمورة تغيرا جعل هذا القول اليوم أصدق من أي وقت مضى • واعضاء هذه الجمعية هم من اولئك البناة الذين تتجه اليهم انظار الهيئة الاجتماعية للمحافظة على سلامة البنيان لا سيما البناء الاجتماعي للكيان البشري ، فمسؤولياتنا قد تضاعفت بذلك عناء ومسئومة اذ اننا نقوم بصنع الادوات اللازمة لهذه المهمة ، فان أهملنا أو أسأنا التصرف فعلى عاتقنا تبعه هذا الامر •

ان واجبات العالم وامتيازاته بارزة في ميدان عمله ولكن ما أقل رجال العلم الذين يدركون ان واجباتهم ومسؤولياتهم في مثل هذا البروز في المجتمع فان جيمس كراي كان من اولئك الذين يشعرون بشعورى حين القى خطاب الرئاسة في اجتماع سنة ١٩٤١ لجمعيةنا في جوهانسبرغ اذ قال : « ان العلماء قد وقفوا على العموم بمعزل عن مسائل الحياة اليومية » • لقد أخذت الجمعيات البريطانية والاميركية المشابهة لجمعيةنا بالتوجه الى

فمنذ انظر الى العالم فيما حولى ، أجد انه على الرغم من القوة الهائلة التي وضعها العلم في أيدينا ، فان العائلة البشرية ليست بالعائلة السعيدة ، بل لعلنا أقل راحة نفسية في هذا العصر الذرى من اولئك البشر الذين كانوا في العصر الحجري ، واننى واثق من ان فشلنا في تطبيق ما علمنا اياه العلم سيما علم ما قبل التاريخ على المعضلات البشرية له نصيب كبير فيما يحيق بنا من مصاعب • ويتراءى لى ان رجل العلم وهو يسعى جاهدا لتزويد كفاءته والتعمق في علمه قد قضى أكثر وقته في درس محيطه وأقله في درس نفسه ، وانه وقد أصبح مهتدا الان بالفناء التام باطلاقه الطاقة الذرية قد بدأ يفقه ان سلامته الحقيقية الوحيدة تتوقف على تقدمه تقديما أخلاقيا أبعد مدى وأكثر علوا • فلاول مرة في التاريخ صار الانسان من أعماق قلبه يخاف مسا صنعه دماغه ، ويرتاب في حكمة ما صنع • واننى عندما أنظر الى الوضع العالمى من أية زاوية كنت لا يخامرني شك في اننا في أدق نقطة من مفترق الطرق ، وان على العالم تقع مسؤولية الارشاد الى أسلم طريق يجب سلوكه •

من الممكن ان يكون هذا العصر الانتقالي الجديد الذى دخلناه عصرا عظيما فيحرر ذات الانسان من الفقر وعقله من الجهل والباطيل ، ولكن ذلك لن نبلغه ، أو على الأقل نتجه نحوه في الطريق الصحيح ما لم نبذل جهدا عظيما دون توقف في سبيله • وفي مقدمة ذلك يجب ان نقدر حقيقة كون ان الحياة عملية ، وانها متطورة ، فهى

سرعان ما يجدون ان الدين كما يعلم للرجل العادي ويمارسه هذا الرجل لا ينفعه في غير شؤونه الشخصية أو شؤون اقرب ما يحيط به ، كما انه بالأكثر لا ينفعه في خارج نطاق المؤسسات الدينية . وفي الوقت نفسه نرى في المجتمع العالمي الذي نعيش فيه ان كل فرقة دينية تناضل غيرها فليبروتستانتية في صراع مع الكاثوليكية ، والاسلام في نزاع مع الهندوسية وقس على ذلك ، وحيثما نجد هذه المذاهب التي لا تتقطع بين هذه الفرق ، نرى المنافسة والكفاح وعلى الأكثر التعصب والريبة وهما ثمرتا الشقاق والاختلاف . ان الذنب لا يقع على الدين نفسه انما يقع على المؤسسات التي تبشر به .

وان العالم وقد اعتاد على النظام والتفكير وعلى الحريات ذات العلاقة بالبحث العلمي (وقد تكررت السلطات ما قد يتوصل اليه من نتائج) هو أول من تصدمه الحية عند نظره الى مذاهب الفرق الدينية المختلفة وعقائدها . ولهذا فانه يشعر بان عليه ان يفعل شيئاً ما للتغلب على الخلافات الاجتماعية التي كثيرا ما يكون سبب نشوئها هذه الفرق الدينية . ولكنه ان كان على جد فيما يهدف اليه يصرخ قائلاً : « ولكن كيف ؟ » فيرد عليه الصدى بحزن رداً قوياً قاسياً كالعميدة : « كيف ؟ » .

وهكذا تعثر وتزيع في طرقنا المتعرجة فاذا بنا في الغالب نرى العالم الحائب قد شد بالعصائب على عينيه فعمتكم على عمله دون ان يلتفت الى غيره لا تزعجه التيارات المتضاربة المتصادمة فيما حوله . وعند ذلك ينفسر في اداء مهمته ويفصل عن المجتمع انفصالاً تاماً ، واذا به عاجلاً أو آجلاً لا يحس الا

هذا الاتجاه ، وارى ان الوقت قد آن لنقوم نحن أيضاً ، اعضاء هذه الجمعية باعادة النظر في عملنا من حيث علاقته بالكيان الاجتماعي الكثير الشعب ليس للبلاد التي نعيش فيها فقط - وهذه البلاد هي ابرز مختبر للعلاقات البشرية - بل فيما وراء حدودنا أيضاً . ونحن في قارتنا الافريقية المتعددة الالوان والمتنوعة الثقافة أشد ما نكون حاجة الى ذلك ، اذ ان المشكلة البشرية هي أول ما يهمنا من القضايا . وان اردنا هنا ان نتجو من الفوضى ، ينبغي كما قال الجنرال سبتس مرة ، ان نفتح المجال لصوت القلب لكي يسمع جنباً لجنب مع صوت الرأس .

وما أكثر من ردد مرارا وتكرارا وعلى الاخص في البيع والكنائس والمعبد القبول بان أهم قضية اجتماعية في عصرنا هي قضية روحية ليس الا ، وانه ما لم يتوصل الى حل لها فمدنية كما يقولون معرضة للانهايار . والذي أظنه ان أكثرنا على مثل هذا الرأي . وبالنظر لاعلام التقدير للممثل الروحية تقديراً يقوم على الروابط والاخوة البشرية المشتركة كما يقوم على الحاجات الواحدة للانسان العادي فننا نتوقع ذلك الانهايار في عدة اقسام من العالم اليوم .

ولما كان عدد كبير من مشاهير المفكرين قد بين بأن الامر الوحيد الذي بمكانه ان يتخذ ثقافتنا المتداعية انما هو احياء الايمان الديني ، فقد أصبح من الطبيعي ان يقوم الكيرون بالبحث عن طريق وارشاد لهم في التعاليم الدينية ، ويلاحظ ذلك بوجه خاص بعد الحروب . مع ذلك فان كثيرين من هؤلاء الباحثين عن مثل هذه الطريق

الانسان وتطوره - ماديا وروحيا - في عصور ما قبل التاريخ وأدوار التاريخ الاثري أود ان أصرح بكل جرد وتواضع بان مثل هذه الدراسة تفسح للمرء ان يقدر المصالح والحاجات المشتركة بين الناس تقديرا أوسع وأفضل مما تستطيع اية دراسة غيره ان تقدمه .

ان الألفى التي تمتد اليها دراسات ما قبل التاريخ أوسع كثيرا مما تمتد اليه دراسة الادوار التاريخية اذ ان تاريخ الانسان المدون لا يزيد على أكثر من جزء من مائتي جزء من تاريخه كله . وان من يدرس تاريخ الحضارة الأوروبية الغربية فقط كالذين يدرسون في مدارسنا عادة يكون مثله كمن يدرس الانسان من فجر عصور ما قبل التاريخ بالنسبة الى ذلك الذي تقتصر معرفته التاريخية على الحرب العظمى الأخيرة ونسبة هذه الى تاريخ الحقبة المسيحية . ويا لنكد العالم ان كنا لا نعرف عن الانسان الا ما تشتمل عليه أعماله في الحقبة الماضية دون غيرها . ومع ذلك فهذا هو حال اولئك الذين معرفتهم لا تتجاوز الألفى سنة الماضية بالنسبة الى علماء ما قبل التاريخ الذين تشمل معرفتهم الف الف سنة من تطور البشرية وما قامت به من أعمال .

وبسببتي أحد مؤرخي ما قبل التاريخ أرى ان الانسان منذ أكثر من مليون سنة انتشر انتشارا بطيئا من مهده الاول في أفريقية ذات المناخ الملائم الى ان وصل أوربة في الشمال وآسية في الشرق ومنطقة الرأس (رأس الرجاء الصالح) في الجنوب بعد ان قضى عدة الاف من السنين في التحولات والتبدلات .

وقد استبدت به الزوابع والعواصف فتجرفه بدون شفقة أو رحمة الى فوضى اجتماعية هائلة خطيرة مثل الحرب .

ان الناس قلما شاهدوا في تاريخ الإنسانية الضويل ، قيام شخص نجح ولو نجاحا طفيفا في قيادته وزعامته دون ان يستند في تعاليمه على تراث الانسان العام وعلى الروابط المشتركة والاحوسة العمة . وما أقل الناس الذين أدركوا بان ليس للمجتمع ان يبرأ من اوجاعه الا بالرجوع الى « ما ورثه الانسان بيولوجيا من التعاون والوحدة الاجتماعية الحقيقية » . ومن اولئك القادة كاز المسيح الذي كثيرا ما خييه اتباعه أشد خيبة . وان الحروب تحمل أفظع شاهد على فشلنا ، فكل ضرف من المتحاربين يؤمن بان هذا المسيح نفسه سينه وحاميه .

لقد سمعت خلال حياتي القصيرة مثل هذه الادعاءات في ثلاث حروب كبرى (١) غلت تفكيرها وامتصت مواردنا مدة لا تقل عن ثلاث عشر سنة من مجموع خمسين سنة تقريبا وقد خرجنا من كل حرب منها الى سلم مختل قصير الأمد ، ان الانسان يريد السلام لانه يريد الطمأنينة والرخاء والوقت لكي يعمل دون توقف أو انقطاع . انه يكره الحروب لانه يحس بانها داء المجتمع كما ان داء الشقاق مرض البشرية .

وبعد ان قضيت عدة سنوات في دراسة أصل

(١) أولى الحروب التي يعينها هي حرب البوير المشهورة التي نشبت في مفتتح هذا القرن بين انكلترا وشعب البوير في افريقية الجنوبية وكاتب المقال من ابناء هذا الشعب

الجيولوجيون أمثال وايلاند في أوغندا واندى اوسيله الى تعيين أقدم مستوطن معروف للانسان مستخدم الآلات والادوات في تلك المقاطعة وارجاع زمنه الى العصر الترياري (Tertiary) ، وكذلك أعمال علماء ما قبل التاريخ المشهورة أمثال كيل في كينيا وتكنيكا ، وأعمال علماء الاحافير النباتية والحيوانية أمثال دارت وبروم في كهوف تونكر (Taungs) وستركفونتاين (Sterkfontein) وكرومدراي (Kromdraai) ومكبان (Makapan) في جنوبي أفريقيا ، تظهر كلها ان اجواء هذه القارة قد رددت وقع أقدام شبيه البشر والبشر مدى مئات الالوف من السنين .

ان عظم التبدلات الماضية الطويلة المهمة التي حدثت في غضون الدور الجيولوجي الرابع (الخير) أدى الى صعوبة بقاء الانسان في منطقة واحدة معينة مدة طويلة ، فعندما كان يتكرر ويتعقب الجذب الى زمن طويل في إحدى المناطق كانت تحدث في منطقة أخرى أمطار عميمة ، ويحدث في غير هاتين انجماد . وان الانسان بإمكانه ان يتحمل الى حد معين المطر والرطوبة ولكنه يعسر عليه ان يقوم الصحارى والجليد ، فإذا ما سادت مثل هذه الحالات في منطقته كان لابد له من الهجرة . ونضرب لذلك مثلا ما حدث في اوربة حيث اعترض سكنى الانسان فيها عوائق لا تقل عن الأربعة عندما تجمد معظم تلك القارة ودفن تحت الثلوج ، وفي الوقت الذي كان يحدث ذلك في اوربة كانت تحدث في امكنة اخرى من العالم مثل هذه التحولات والتبدلات المهمة ، ولكنها كانت لحسن الحظ اضعف شدة

وفي الاقصى البعيدة لهذه القارة حيث كان يعيش الانسان في مجتمعات فطرية منعزلة عن بعضها بعضا كان كل مجتمع منها يتميز عن الآخر بمظاهر تكوينية خاصة ، نشأت طوائف أو أنواع فرعية مختلفة للانسان وعلى مثل ذلك يستند السر اثير كيت وغيره في تحليل نشوء الزواج في أفريقية ونشوء القوقازيين والمغول (أو الصين الاسيويين) في نصف الكرة الشمالي والهنود الاسيويين في جنوب هملايا والاستراليين في اقاصي الجنوب الشرقي . وبما ان لكل طائفة أو نوع فرعي من هذه الطوائف البشرية الخمس الكبرى صفاتها الطبيعية والثقافية الخاصة ، فان السر اثير كيت وهو من علماء التشريح ، عدّ كلا منها جنسا متميزا عن غيره ، ويستعمل لفظة « جنس » في معناها البيولوجي المحدود . اما انا فافضل ان ابين بان دراستنا للانسان وانتشاره في العالم القديم اولا ثم في العالم الجديد ، تظهر بأجلى مظهر ان البشر قاطبة يرجعون الى جنس واحد هو الجنس البشري ، وان أى تباين طبيعي أو ثقافي قد طرأ على الانسان في اثناء عملية انتشاره ، مهما كان المعنى الذي يقصده البيولوجيون من استعمالهم لكلمة جنس لا يغير حقيقة وحدانية الجنس البشري ولا يمكن مناقشتها .

وفي مدى مئات الالوف من السنين التي تقضت بين ظهور الانسان في أفريقيا وسكانه في معظم انحاء أوربة في الشمال واسية في الشرق ، تتعصب أفريقية كأعظم وأهم مسرح مثلت فيه رواية التطور البشري . واتى أعلن هذه التخصيص دون تردد . فان العمل العظيم الذي قام به

واقل قسوة ، مما ساعد اجدادنا فيما قبل التاريخ على استمرارهم على الحركة ، وتعد هذه الانقلابات المناخية والحركات التي كان يقوم به الانسان من أهم الصفات المميزة للعصر الحجري . ومع ذلك ففي مدى هذه العملية الطويلة والمعقدة كان الانسان في موطنه الافريقي الذي انحدر منه يتقدم باطراد . فقد كانت القارة الافريقية لحسن الحظ شاسعة المساحة تكفي ليعيش الانسان في جزء منها عيشة ملائمة له عندما كانت تتبدل الاحوال في الجزء الاخر فتصبح غير مؤاتية له ، ومع ان الانسان كان في حركة دائمة فانه لم يتركها في الواقع . واخيرا بقي مناخ ارضنا في الجنوب على حالته الحسنة ولكن اخذت المدنية التي نعرفها تتحرك في مكان آخر . ومع هذه المدنية جاءت جنة عدن التي يجب ان نبحث عنها في الهلال الخصيب ، ورافق مجيء هذه المدنية تعلم القراءة والكتابة فظهور التاريخ المدون منذ مدة لا تتجاوز الخمسة آلاف من السنين . اما روديسية والاتحاد الافريقي فقد تحللت عن ركب هذه الحضارة وبقيت على حالها فيما قبل التاريخ أولا ثم في الادوار التاريخية الى ان حل فيهم منذ بضعة قرون اسلافنا الاوروبيون فمادوا الى موطنهم الاول الذي انحدروا منه ووصلوا الى سلزبري اول مرة قبل ستين سنة فقط .

وتظهر اقدم المشاهد في القارات الثلاث التي ذكرتها آنفا الانسان في الادوار الحجرية القديمة وهو يعيش بين مخاوقات لم يعد لها وجود وفي احوال جغرافية ومناخية هي على الاغلب مغايرة للاحوال التي نعيش فيها الان ، ونرى

الانسان ونحن نتقل من مشهد الى مشهد ومن فصل الى آخر مما يمثل في كل مسرح من المسارح القديمة العظمى ، وهو يطلع من عصره الحجري الوضع آخذا في تحسين قابلياته ومقدرته في نسي الشؤون بصورة وثيدة ولكنها اكيدة . ونرى - وهو الاهم - ان البشر الذين ساروا باتجاه الشمال هم اقدم ابناء اعمام البشر الذين ذهبوا الى الجنوب ، كما ان من اتجه منهم الى الشرق هم اقدم ابناء عم الجماعتين ، وهكذا ظل الانسان في انتشاره وارتقائه يسلك طرقا متشعبة وهو لا يعمل على تنمية قابلياته اينما ذهب فحسب بل وخرافات ومعتقدات وفلسفات واديانه ايضا ، ومع ذلك فانه لم يهمل ولم يفقد الروابط الطبيعية والروحية المشتركة التي تربط بين افراده ولم ينقطع عن عضويته في الجنس البشري . وقد تكون الجماعات القطرية المنفصلة عن بعضها بعضا قد كونت طوائف واجنسا طبيعية متباينة في اقدم مختلفه من العالم وقد تكون الهجرات المتتالية قد ادت الى اختلاط هذه الاجناس اختلاطا اعظم ، غير ان النقطة الاساسية ان كل فرد من كل جماعة بقي عضوا من اعضاء الجنس البشري . وقد ايد ذلك فلنت (D'Almeida) في خطاب الرئاسة المهتم « الوعي العرقي والروح العلمي » الذي القا في هذه الجمعية سنة ١٩١٩ بقوله « ان ادل حقيقة برزوة تتعلق بالجنس البشري يجب الالتفات اليها هي وحدته » واعيد القول ان هذه الوحدة لا يسكن اغفالها أو التغاضي عنها . ولا يسكن ان نعرف هذه الوحدة أو تترك انرا لها في عقولنا الا بدراسة الانسان في ادوار

واقل قسوة ، مما ساعد اجدادنا فيما قبل التاريخ على استمرارهم على الحركة ، وتعد هذه الانقلابات المناخية والحركات التي كان يقوم به الانسان من أهم الصفات المميزة للعصر الحجري . ومع ذلك ففي مدى هذه العملية الطويلة والمعقدة كان الانسان في موطنه الافريقي الذي انحدر منه يتقدم باطراد . فقد كانت القارة الافريقية لحسن الحظ شاسعة المساحة تكفي ليعيش الانسان في جزء منها عيشة ملائمة له عندما كانت تتبدل الاحوال في الجزء الاخر فتصبح غير مؤاتية له ، ومع ان الانسان كان في حركة دائمة فانه لم يتركها في الواقع . واخيرا بقي مناخ ارضنا في الجنوب على حالته الحسنة ولكن اخذت المدنية التي نعرفها تتحرك في مكان آخر . ومع هذه المدنية جاءت جنة عدن التي يجب ان نبحث عنها في الهلال الخصيب ، ورافق مجيء هذه المدنية تعلم القراءة والكتابة فظهور التاريخ المدون منذ مدة لا تتجاوز الخمسة آلاف من السنين . اما روديسية والاتحاد الافريقي فقد تحللت عن ركب هذه الحضارة وبقيت على حالها فيما قبل التاريخ أولا ثم في الادوار التاريخية الى ان حل فيهم منذ بضعة قرون اسلافنا الاوروبيون فمادوا الى موطنهم الاول الذي انحدروا منه ووصلوا الى سلزبري اول مرة قبل ستين سنة فقط .

وتظهر اقدم المشاهد في القارات الثلاث التي ذكرتها آنفا الانسان في الادوار الحجرية القديمة وهو يعيش بين مخاوقات لم يعد لها وجود وفي احوال جغرافية ومناخية هي على الاغلب مغايرة للاحوال التي نعيش فيها الان ، ونرى

اخلاقيا متقلا انتقالا طبيعيا غير محسوس من التطور الجسمي الى التطور الروحي ، واننى اوصى من يهتم بتتبع هذا الموضوع بقراءة كتاب لكونت دونوى (Lecomte du Noüy) المثير للتفكير فى « مصير البشر » .

وبسرور الزمن ظهرت انظمة اجتماعية دائمة التوسع وصارت تنمو نموا مطردا متصلا واخذت اشكالها تزداد تعقيدا شيئا فشيئا مرتقية من الوحدة العائلية الاصلية الى جماعات اكبر مثل افخاذ وبلون القبيلة فالى الامم والحضارات بطرق خاصة غير محسوسة فى الغالب .

ولاجل المحافظة على سلامة النظام الاجتماعى والحياة الاجتماعية اصبحت الانظمة والقوانين امرا مقبولا أو لايسد منه مما ادى الى نشوء المبادئ الاخلاقية المعقدة التى هى ميزة كل الجماعات البشرية . وبهذه الصورة ولدت الفلسفات والاديان التى فيها يمكن ان نحسن بحلول التطور الروحي للانسان محل التطور الجسمى اكثر من ان نراه ، ومن ثم قضى عليه قضاء نهائيا .

وفى الواقع انه لم يطرأ على المظهر الجسمى للانسان غير تبدل طفيف منذ العصور الحجرية حتى ان ظهور انسان هذه العصور شخصيا بيننا الآن قد لا يسبب أى ارتباك وغرابة ، اذ ان تكويننا الجسمى نحن الذين فى هذه القاعة جاء من العصر الحجرى بالاصل ، واذا اردنا ان نفتش عن اوجه التباين بيننا وبين اسلافنا ابناء العصر الحجرى فلتبحث عنها فى عبقريتنا الابداعية وفى نفوسنا وليس فى تكوين اجسامنا ، وقد يكون هذا الامر

ما قبل التاريخ . ومع ذلك فان تطور ذكاء الانسان فى القديم ونسوه الذى تعكس صورته بوضوح الالات التى خلفها فى مسالك مسيره فى اثناء انتشاره فى معظم العالم القديم الا جزاء واحدا من القصة وهو لا يمثل غير الجانب المادى أو الطبيعى فيها . اما ان هناك جانبا آخر غير هذا فذلك معروف جيدا ، اذ بينما كان ذكاء الانسان يتدرج فى الرقى طرأ على الانسان تحول عسوق الغور خطير الشان ، فانه باختراعه الاداة واقدمه بتصد على صنعها واستخدامه غير المنقطع لها وهى التى وصفت بحق بانها « الاعضاء ما فوق الاعضاء الجسمانية » اجتاز التطور سلسلة من التعديلات والتحسينات المتعاقبة فى تركيب جسم لانسان وشكله حتى وصل الى مخه ، وهو لعضو الذى يتوقف عليه ارتقاء ونسوه ذكائه . فان هذه المرحلة التى انتقل اليها العمل التطورى كان لها اعماق الاثر فى مستقبل الانسان . فقد ما مخه نسوا فوق كل ما عساه فى جسمه . ينمو عقله ارتفع فوق مسلكة الحيوان وفى خلال ارتفاعه هذا حدث حادث كان من اعظم الحوادث فى التاريخ الطبيعى ان لم يكن اعظمها ذلك هو لادة الوجدان ، وبظهور الوجدان اخذ الانسان بنز اقوى غريزة طبيعية تلك هى منفعة الذات وحب الذات ، فقد كان الانسان حتى هذه لرحلة يهتم بسلامة ذاته وراحته ليس الا ، ما الانسان الجديد بوجدانه فقد اصبح قادرا لى منح حياته فى سبيل شىء آخر وشخص آخر ، فى تعلمه كبح جماح الحيوان الذى فى داخله كتشف الانسان نفسه ، واتجه التطور اتجاها

والتدرسات الاركيولوجية وهذا مما يجعل السير في طريق هذا التفاهم .

وان معالي الدكتور ناجي الاصيل رئيس الوفد العراقي الى مؤتمر اليونسكو الذي كان انعقاده في لندن سنة ١٩٤٦ قد قوى عقيدتي في ذلك كثيرا بما اورده في خطابه في ذلك المؤتمر في قوله :

« أود ان اقول لكم بانتي كنت في خلال مدة اعمالنا الاخيرة في دائرة الاثار القديمة بالعراق ، احد اولئك الذين تملكهم شعور عميق بما يكمن في الابحاث الاثرية من قابليات كبيرة تجعلها عاملا خلاقا لتوسيع افق المدارك البشرية باقامة روابط التفاهم مع مجهودات الانسان النبيلة في الماضي السحيق . . . التي بالاستناد الى وجهة فلسفية جامعة تلك التي بوسعها ان تميز وحدة الاشياء المحجوبة وراء التنوع ، وبالاستناد الى نظرة شاملة عميقة تدرك اوليات المبادئ الانسانية تتوصل الى فهم دقائق الفكر الحديث بجميع مظاهره المحيرة من نور يخطف الابصار وظلام خالك لا يسبر غوره ، يصبح في مقدور المرء ان يتفاعل بقدر معقول ، في امكان خلق جو صالح لتفهم الطبيعة البشرية تفهما صحيحا . »

وقد اضاف في الوقت نفسه قائلا : « في عصر الطاقة الذرية هذا الذي يسيطر على العقول بما يملكه من وسائل للخير أو للشر قد يشعر المرء بانة اسعد حالا في تأمل الروح الانشائية التي اتصف بها رواد الحضارة الاول . فياله من نصر مبين في ميدان التقدم البشري يوم اختراع الانسان اول منجل ! ان هذا المنجل على بساطته وسذاجته

مرعجا للبعض ومهينا للبعض الاخر ولكي الحقيقة هي ذلك ان روح الانسان مهما ارتفعت وتسامت ما زالت مستندة الى حيوان موجود في تكوينه الجسمي من العصر الحجري . وان اردنا السيطرة على هذا الحيوان وكبح جماحه وهو ما يجب ان نقوم به ، فليس لنا كما احسن افضل للبدء بذلك من ان ندرس ونتعقب تطوره وارتقاءه في خلال العصور متذكرين ونحن نقوم بهذه المهمة بان الكفاح في سبيل ارتقاء اخلاقي وروحي اعلى قد حل في الغالب ان لم يكن كليا محل الكفاح في سبيل الوجود في جميع المجتمعات الراقية . فاذا ما قمنا بذلك وتبعنا نمو شجرة الحياة البشرية من جذورها الافريقية العميقة الاصول الى ما فوق ذلك فالى الاطراف ، نجد اننا لسنا في محيط مشحون بالشقاق والتناظر بل بالوفاق والوئام وتصبح وحدة البشرية أكثر وضوحا . ان التباين في الاخلاق والاختلافات في المعتقد والرأي متعددة الجوانب ومعقدة بعض التعقيد وهي تفعل فعلها في تباعد الجماعات البشرية وانفصالها عن بعضها بعضا ، وانه ما لم نحفر في باطن الارض حيث هي جذور مدياننا فلا يتسنى لنا ايجاد اساس واحد لهذه المذاهب وخلق وسط للوئام الامر الذي نحن في أشد الحاجة اليه . وان هذه التربة ولاسيما تربيا الافريقية تبطن معظم اسرار ماضيها ذلك الماضي الذي يضم أهم دليل واقواه على الوفاق البشري .

ومثل هذه التأملات والدراسات في الماضي تجعل المرء يزخر املا في مستقبل يسوده تفاهم افضل بين البشر وفي مستقبل تزداد فيه التحريات

الاروبولوجى متصل الحفلات ليس لاية قارة غيرها ان تمنحه لنا .

واذا اضفنا الى هذه التسميات الاولى التى جاءت على لسان الرؤساء السابقين عن عظم الثروة المدفونة فى طبيت ارضنا ، الميل الطبيعى لى الطفل للبحث فى التاريخ التديم واندھاشه مما يدرسه فيه ، وجدنا ان المسرح معد لنا وان كل بقى علينا عمله يقتصر على تحضير منهج لهذا الموضوع وهو أمر هين ، وتوفير المعلمين وهذا مع الاسف غير يسير . فان درس الامكانيات لتحقيق ميل الاطفال الى التاريخ الطبيعى قد اوقفه أو ابرده عنهم جهل معلمهم » كما قال رئيسنا فى سنة ١٩٠٤ . مع ذلك فانا اضم صوتى الى « متكالف Metcalf » وارجو الا يتكرر هذا المنقش فى المستقبل » بعد ان اخذت جهود العلماء الكبر فى الخمسين سنة الماضية تؤتى ثمرها الان » وبحثت اعضاء هذه الجمعية كما حثهم « متكالف » على بذل ما فى امكانهم ليقنعوا من بيدهم الامر بضرورة تعليم اطفال اليوم وهم رجال ونساء الغد على هذا الاسس .

ان ذلك يوصلنى الى دعوتى الثانية وهى الاصلاح فى تعليم التاريخ . فان الاطفال الان لا يعلمون الا جزءا قليلا من التاريخ المدون وهو فى الغالب يقتصر على تاريخ اسرة حاكمة فى قطر من الاقطر أو فى عدد قليل من الاقطار وفى كل قطر يؤكد على التاريخ المدون لذلك القطر وعلى العسوم يشاد بامجاد واعمال ذلك البلد على حساب البلدان الاخرى ، ولا شك ان ذلك يعطى للطفل صورة ناقصة ومغرطة وهو كذلك يعنى

كما يبدو لاعيننا اليوم تسئل فيه عبقرية الانسان الاولى فى تكوينه من هذه القطع المتعددة من الصوان يلصقها بالزفت على قطعة خشب معتودة لصقا متقنا ، ليحصد به اولى الحبوب التى زرعتها يده و ثم بتحسنا وبردراك لمجساولات الانسان الاولى فى التعمد والتجرب الى الاله فى تلك الافق من مشاعر الانسانية الناشئة عده . كان عالم الانسان لا يتعدى حدود سكاك الضيقة ومن فوقه العالم السماوى الواسع بشمسسه وقمره وكواكبه الساحرات ، وبشملة اياه وهو يحاول فهم سر النور الحفى المنبعث من وراء الافق لمجهول العظيم - و ثم بتقربنا الى ذلك الانسان لمجهول وهو يبدل مجهوداته النبيلة مما جعل لانسان الحديث الانسان كما هو اليوم . ان هذا كله ينبئ ان يكون فى نظرى نقطة البدء للمسمى وراء احلال التفاضم بين البشر .

فلاجل هذه الاسباب اذفع عن تدريس ما قبل لتاريخ فى مدارسنا دراسة اولية . وان جنوبى افريقية مثل معظم قارة افريقية ومعظم اوتية زودخر بمقادير كبيرة مما تركه اسلافنا فيما قبل لتاريخ من مخلفات وآثار فى مدى ازمان طويلة تتالية . وان اتبناها الى ما فى افريقية ولا سيما فى افريقية الجنوبية من ثروة اركيولوجية ليس الامر الجديد . فقد قال الجنرال سيمپسن فى خطاب الرئاسة الذى القاه فى الجمعية سنة ١٩٢٥ ان نطق البحث العلمى فى جنوبى افريقية بسا تعلق بهذه المعرفة هائل » وكذلك رأى امرحوم جان هندريك هوفماير فى خطاب الرئاسة لسنة ١٩٢٥ فقد قال : « عندنا فى افريقية سجل

وانها منفصلة عنه انفصالا تاما . وقد حل الاوان
لاخذ بنصيحة السر جون مايرس (Myres)
فنتطبق النقد الجغرافي على التاريخ والنقد التاريخي
على الجغرافية والنقد البيولوجي على كليهما . وما
لم نتم بذلك فليس بوسنا ان نحصل على صورة
كاملة أو أمينة .

ان تعليم التاريخ المدون فقط يؤدي الى ما
نعمه مرة بروفسور معروف في الفلسفة والدين
بقوله انه « مدينة الازهار المتطوعة » ، وحث على
الرجوع الى تعاليم الكنيسة الروحية ، وعلى
الاهتمام لا بسا حدث من حوادث في ادوار ما قبل
التاريخ قبل ان يحلم بالكائنس فقط بل الاهتمام
بالجانب الروحي الخالص للحياة ايضا . وان هذا
الرجل عنده اراد ان يشدد على هذه النقطة صاغ
العجالة التي اقتبسها واطاف قائلا : « جميلة هي
الازهار المتطوعة ، ولكن قطعها يؤدي الى فصلها
عن جذورها المسندة لها » . ان هذه الجذور برأيه
ليست الا تعاليم الكنيسة الروحية . والامور
المهمة التي لاحظناها هنا هي : اولاً انه في موضوعه
كلينما اقتصر على التاريخ المدون لمدة خمسة آلاف
سنة فقط من ارتقاء البشر وتقدمهم ، اي على
جزء من مائتي جزء من حياة البشرية كلها . وثانياً
ان الجذور المسندة ليست روحية بحتة كما يفهم
من قوله بل من الممكن تتبعها في الحقائق الواقعية،
ولا بد من ادخال التحريات والتعاليم الاركيولوجية
ان اردنا ان تفهم طبيعة هذه الجذور وقيمتها .
ان مجرد ايمان الكنيسة ببدء الجامعة
(العلية) لم يحتمق جمع البشر بشتى الوانهم
ومختلف مذاهبهم في عائلة واحدة مدركة لاصلها

بالتفوحات العسكرية والانتصارات الحربية .
ولما كان الامر كذلك فنتى ارى راى بترفيد
وغيره بان التاريخ بالاسلوب الذى يدرس فيه
الان يخلق مانعا خطيرا امام تحقيق اسسى المثل
المسيحية .

وعليه فمن الواجب ان يكون اهم ما يدرس
فى التاريخ هو تاريخ العالم وان يعسلم بالاسلوب
يهدف الى اظهار ان جميع البشر من اصل واحد
انتشروا الى جهات مختلفة وساروا معا في طريق
الارتقاء ، ويعمل على تسخير الحروب واظهار
شروطها اكثر من امجدها ، ولا اقصد من ذلك
الاخذ بحياد لا معنى له ولا لوان أو اخذ شوائب
قطر دون آخر ، وانما اقصد بالتاكيد على ما
انجزه البشر بصورة مشتركة اكثر من تأكيدنا
على فضائل وبسالة شعب معين فقط ، وان يكون
البحث شاملا البشرية قاطبة وليس امة أو مجموعة
من الامم صادف ان ولد الطفل فيها . يجب التأكيد
على ما توصل اليه البشر وحققوه من امور بوجه
عام وعلى ما بلغوه من تقدم فى العام بوجه خاص
وفسوق كل ذلك فيجب الا يقتصر على التاريخ
المدون لان تعليم التاريخ المدون تعليم ناقص لا
يعطى غير صورة جزئية فهى اذن صورة غير متقنة .
وحتى لو درس التاريخ كما درسه توينبى
(Poyntee) فان التاريخ المدون لا يعالج الانسان
كما يدله المشتغل في علم الحياة ، اذ ان التاريخ
لا يعد الانسان جزءا من الطبيعة كما هو فى الحقيقة
والواقع ، فمعظم المؤرخين يرون ان قصة البشرية
بكمالها سواء فى ما قبل التاريخ أو فى الادوار
التاريخية ليست الا ملحقا وتكملة لكتاب علم الحياة

يزادى الحكومات الكثيرة المتحصرة الى مضاعفة مجهوداتها بانباع مثل تلك الحكومات القليلة التي أسست لها مصالحي للتحريات الاركيولوجية على نسق المصالح الجيولوجية التي اسستها .

فلقد آن الاوان ولا شك لكي تعترف كل حكومة بالقيمة الحقيقية والعملية للبحث في ماضي الانسان ان هي ارادت ان يفهم قادتها السياسيون الحاضر حق الفهم كما هو محتتم عليهم ذلك وان يتقدروا المستقبل ايضا . فكيف يتأتى لرجل السياسة أو الادارة ان يعد العدة لمستقبل طيب لشعب لما يصل الى دور القراءة والكتابة ولسم يخرج الا حديثا من ادوار ما قبل التاريخ ، وكيف يتاح له ان يضع أسسا حكيمة للمستقبل ان لم يكن مطلعا على ماضي ذلك الشعب ؟ من الاقوال الشائعة ما يقال ان « ماضي » شعب لما يصل الى دور القراءة والكتابة مثل قبيلة من القبائل الافريقية ، ليس الا طرفا من تاريخهم الذي تستوعبه ذاكرتهم القبلية ، وبمعنى آخر ليس الا ادبهم القومي (فوكلور) ، وان المتعارف عليه ان المرء اذا اطلع على هذا الجزء من تاريخهم كان اهلا لكي يكون اداريا قديرا . وبطبيعة الحال ان رجل السياسة المطلع على « فوكلور » شعب يعد من الناحية الادارية احسن ممن لا علم له به . ولكن من الواجب ان نعلم بان رجل السياسة الذي يحيط بماضي التقدم البشري في جميع ادواره الماضية وبضمن ذلك ماضي القبيلة المسؤول عن ادارتها يكون في مركز اقوى ممن لا تتعدى معلوماته الجزء الذي يخص الادب القومي (فوكلور) . وعليه فاني اعيد القول ان

الواحد وروابطها المشتركة ، على الرغم من انها لم تكف في يوم من الايام عن التبشير بان هذا هو الصراط الصحيح والطريق الحق . ويخامرني اقوى شك في مقدرة الكنيسة على تحقيق دعوتها لانها تقصر تعاليمها على بضعة ألوف من السنين من التاريخ البشري وتتغاضى عن حقائق ما قبل التاريخ . وهنا في الواقع امامنا فرصة تيرنا في هذا السبيل بالمشاركة في التوسع في التحريات الاركيولوجية عن جذورنا المسندة وتحقيق دعوتى الثالثة الى بث ما توصل اليه من معلومات نتيجة ذلك . فان الكنيسة في بعض تعاليمها الاساسية قد فصلت الانسان عن جذوره واقامته على دكة اخفت عن نظره هذه الجذور .

وقد اوضح مؤتمر الرابطة الافريقية في اجتماعه المنعقد في نيروبي قبل ثلاث سنوات ان التقدم في التحريات الاركيولوجية في افريقية عن ما قبل التاريخ تسير قدما في خطوات سريعة لا يعيقها عائق . وقد اغرت ثروة الميدان الافريقي هواة ما قبل التاريخ والمختصين به اغراء عظيما فاقبلوا من كل صوب يفحصون امكنة عديدة من النارة المذكورة ، ولكن معظم هؤلاء غير منصرفين انصرفا كليا الى عملهم بل هم يقتنصون الفرصة بعد الفرصة من اوقات اعمالهم الاعتيادية لاجل ذلك وينفقون معظم المال اللازم أو كله من جيوبهم ، كما ان استمرارهم في مواصلة هذا العمل غير مضمون ، اذ انهم لا يزالون في اول مراحل المعضلة ، وأما ما نحن في حاجة اليه فهو المواظبة والمواصلة على هذا العمل كما اشرت الى ذلك في المؤتمر الافريقي الاقليمي . فهنا ميدان للعلماء

البحث في ماضي الانسان له قيمته الحقيقية
 وأنعمية العظيمة .
 واني لعل يقين انه كلما زاد معنى البحث في
 ماضي الانسان اتضح ومؤثراته الانسانية العميقة
 فهما ، كلما استتب أمر هذا البحث ، وعظم الأمل
 في ان ينال تدريسه تشجيعا واقبالا أكبر لا في
 الجامعات فحسب بل في المدارس ايضا .
 ومن المفيد ان نستعيد الى الذهن ان رئيسنا في
 اجتماع آخر لجمعية في سلزيرى ايضا اختار
 موضوعا له مشكلة « علم الحياة والجنس » وانه
 كان يدرك كل الادراك ما يعتمده تعليم رجال
 الدين من نقص ، فحث على وجوب تلقي الطلبة
 من رجال الدين درسا في مبادئ علم الحياة .
 وقد شعر العلماء منذ زمن طويل بالحاجة الى إعادة
 تفسير كثير من الآراء الدينية بلغة العلم . وقد
 سلم بذلك ايضا لحسن الحظ عدد من رجال الدين
 المعروفين منهم وليس أقلهم شأننا ذلك الرجل الذي
 يعرفه معظمنا احسن معرفة ، واعني به الأب
 برويل (Abbé Breuil) وهو كاهن وعضو بارز
 من أعضاء جمعيتنا ، فلقد سعى سعيا حثيثا في
 سبيل ترقية معرفتنا بانسان ما قبل التاريخ . ونحن
 نرى فيه الكاهن المجرب الذي لا يرى أى خصام
 جوهرى بين اصل الانسان كما جاء في التوراة
 وما تقول به نظرية التطور العلمية أو البيولوجية .
 ومما يدعو الى السرور انه ليس الوحيد بين رجال
 الدين الذين يدركون ان التوراة ليست كتابا
 مدرسيا للجيولوجية بل ان قيمته فلسفية .
 ولكن مما بأسف له العلم والعلوم الانسانية انه
 شخص واحد فقط من فئة صغيرة من رجال

الكنيسة استطاعت ان توفق بين العلم والدين .
 فلتوجه بانظارنا الى الامام الى ذلك اليوم الذى
 يقبل فيه حقيقة تفسيره الجديد قبولا واسعا ويمكن
 عدد اكر من رجال الكنيسة من رؤية ما يراه هو
 لقد تكلم من هذه المنصة منذ ربع قرن
 تقريبا البروفيسور (Fantham) فقال : « ان الحقيقة
 ليست مطلقة (Absolute) ولكنها متعددة الجوانب
 وعلينا ان نتذكر بانه بدراسة علم الحياة (ولدراية
 الانسان نصيب كبير فيه) تصبح البشرية على
 وفاق مع عالم الطبيعة العظيم . والطبيعة اعلى
 بكثير من كل نظرة ضيقة مذهبية أو حزبية
 سيسية . فمن الطبيعة يمكن ان تتعلم دروسا في
 التعاون لاجل خسير الجنس البشرى وفي
 الاحترام المتبادل للاختلافات الطفيفة مع الآخرين ،
 وفي الاتحاد من اجل قضية مشتركة . وتشترك
 الطبيعة والدين في مثل عليا واحدة . وان العمل
 على اىصال الجنس البشرى الى درجة من الكمال
 ولو صغيرة جسميا وعقليا واخلاقيا من الواجبات
 التى امامنا وعند قيامنا بذلك يجب ان يسود
 التعاون وحسن النية ومن الممكن فى عالم اليوم
 ان نصنع شيئا كثيرا اذا تمسكنا بالهدوء والصبر
 والاعتبارات البيولوجية لتحطيم سدود الجهل
 واشاعة الوفاق بين البشر على الاساس الذى عبر
 عنه المعلم العظيم فى الماضى احسن تفسير فى
 وصيته : « عامل الناس بما تحب ان يعاملوك به »
 ان رجوعى هذا الى البيانات التى كان ادلى
 بها الرؤساء السابقون لا يخلو من فائدة لاسيما
 وان القلق المستولى على فكرى والذى اعترفت
 بوجوده فى بدء حديثى ينهض مستقلا عما

مع ذلك فان استطاعة بعض رجال الكنيسة البارزين من ان يوفقوا بين العلم والدين عمليا فبشير خير للمستقبل . وان الحاجة الى مثل هذا الوفاق تبدو انها ملحة كالحاجة الى كسب الرأس والقلب معا اذا اراد الانسان البقاء ، اذ ان الدين ولد في قلب الانسان الذي هو الطبيعة البشرية . وعلاوة على عظم تقدم الانسان في العلم وكسب الحياة قوة فعالة متحركة ، فاننا نرتاب في ان الطبيعة البشرية الاساسية قد تغيرت أو تقدمت في طريق محسوسة منذ العصر الحجري فان الطبيعة البشرية قبل كل شيء تتطلع الى التعبير الروحي . فالواجب العظيم الثالث الذي امامنا هو ان نضع ذلك اذا اريد وضع اخوة البشر على اسس مكنية في عقول الناس بالشكل الذي توصل الى حقيقته العلم . فعلى الدين والعلم ان يتعاونوا في هذا الامر ، ولعل في ذلك اعظم خدمة للبشرية . وليس لاي منهما تحقيق ذلك بمفرده ولهذا فيجب ان يكونا حليفين . وقد يستغل كل منهما في ميدانه وبأسلوبه ، ولكن بعد الانتهاء من وضع التفسير الجديدة الملحة التي اشترت اليها قبلا عليهما ان يتحدا معا في مساعيها لاجل الوصول الى مثل عليا سامية قلبا وقالباً . وارى ان اول خطوة في سبيل ذلك هي ان يخصص رجال الدين وقتا اطول لتأمل الانسان في الطبيعة وان يخصص العالم وقتا اكثر لتأمل الانسان في التاريخ لا في الحقبة التاريخية فقط بل في عصور ما قبل التاريخ ايضا .

ولما كان هذا الامر يمينا كثيرا وله اثره الفعال فينا ويأخذ بنظرة الى الحياة بعيدة المدى

تتمل ان خطر على بالهم أو قالوه . ان هذه بانات تظهر ان الرجال الذين حنكتهم التحريات لمية ، تهمهم كثيرا تحسين احوال رفاقهم اجتماعية والروحية كما تهمهم احوالهم المادية ، بين لنا ايضا انهم ليسوا على استعداد للملاقاة نيسة فحسب (وذلك مطلب يعترفون به حالما فقومون على وجود القيم الروحية) بل لمساعدتها رضية الكنيسة نفسها بسلاقتهم كما فعل الاب ريل

ان الدين والعلم هما الدافعاان الاصليان لرتقاء والمسعى البشرى في خلال العصور ، ين ، كما نوه سر ريجارد كريكوري (Sir Richard Gregg) « بمثابة رد فعل لباعث باطنى ، والعلم اية تجمع المعارف . » احدهما يمثل النظر طنى (Subjective) او الجانب العاطفي وثانيها لمر الخارجى (Objective) ، وبامكان كل منهما يسير الى مدى بعيد بمفرده ولكن لمسا كان جت العلمى الحديث يتقدم تدمما جريئا - واعتقد يتقدم في درس الانسان من الناحية الروحية ر من ناحيته المادية - والطبيعة تتغير تغيرا ثا فليس باستطاعة العلم أو الدين ان يظلا مدين كثيرا عن بعضهما بعضا . ويختلف الامر للاف عظيم اذا تقدم اتباع الهيئات الدينية تقدا يزيد عن ان يكون جزءا من سرعة تقدم العلم . خطوة جريئة واحدة تغير اتجاه التفكير العالى العالم .

ويظهر ان السد العظيم الذى يحول دون تقيق تعاون فعال اكثر انعدام روح المصالحة لدى اصرة المذهبية في جميع الاديان التى اعرفها .

يتطور الى مخلوق جديد . ولعل غاية ذلك كله خلق شخصيات روحية من صنف يفوق ايا مما عرفناه ولغايات كونية ليس لنا ان نفقه وجودها . وفي الختام اود ان اضيف الى ما ذكرته آخر خواطر لي ونداء اخيرا :

ان احدى وسائل تمييز العلم التعرف بما كان قبله، كما ان من وسائل تبين الحضارة التعرف بما كان قبل تسلسلها . ولكي نوفر اسباب الفقد يجب ان ننظر الى الامام ، وعندما ننظر الى الامام ينبغي الا يقتصر نظرنا الى غدنا فقط بل الى غد اخلافنا واجيالنا القادمة . ان ميدان العمل امامنا والبدور قد بذرت وكل ما يعوزنا الحراث . وعليه فاردد قولي الاول بانى انتظر من جمعيتنا ان تقرب ذلك اليوم الذى يوجد فيه هؤلاء الحراث .

غير اعتيادية ، اود ان اعيد الى الاذهان كلمة لعالم ثقة من اعظم العلماء الاحياء فى موضوع تطور الانسان ، واعنى بذلك الكلمة التى اختتم بها الدكتور روبرت بروم Dr. Robert Broom خطاب الرئاسة الذى القاه فى جمعيتنا سنة ١٩٣٣ حول التطور . قال : « ان المجسرى العجيب لتاريخ الحياة على الارض يبدو انه يقبل تأويلا واحدا هو ان الذى اوجده عوامل روحية كانت غايتها الاولى خلق الانسان ليس الا . ومع ان الانسان كما نراه اليوم قد يعد ثمرة غير مرضية استجتها هذه الملايين من السنين للتطور . فيجب الان بعد ان تطور البشر قد بلغ نهايته ، اذ ان تكوين الانسان الجسمى قد يتغير بعض التغيير فى غضون العشرة ملايين سنة القادمة ، ولكنه عقليا واخلاقيا قد

